الرسالة

(٢ كو ٤: ٦-١٥)

يا إخوةُ إنَّ اللهَ الذي أمَرَ أن يُشرِقَ من ظُلمةٍ نورٌ هو الذي أشرق في قلوبنا لإنارةِ معرفةِ مجدِ اللهِ في وجهِ يسوعَ المسيح* ولنا هذا الكنزُ في آنيَةٍ خَزَفيَّة ليكونَ فضلُ القوَّةِ لله لا منَّا* مُتضايقينَ في كلِّ شيءٍ ولكن غيرَ منحصرين. ومُتحيِّرين ولكن غيَر يائسين* ومُضطَهدين ولكن غير مخذولين. ومطروحين ولكن غير هالكين* حامِلين في الجسد كلَّ حينٍ إماتَةَ الربِّ يسوع لتظهرَ حياةُ يسوعَ أيضاً في أجسادنا* لأنَّا نحنُ الأحياءَ نُسلَّمُ دائماً إلى الموتِ من أجلِ يسوعَ لتظهرَ حياةُ المسيحِ أيضاً في أجسادِنا المائتة* فالموتُ إذاً يُجرى فينا والحياةُ فيكم* فإذْ فينا روحُ الإيمانِ بعينِه على حسبِ ما كُتبَ إنّي آمنتُ ولذلك تكلَّمتُ فنحنُ أيضاً نؤمِن ولذلك نتكلَّم* عالِمين أنَّ الذي أقامَ الربَّ يسوعَ سيُقيمنا نحن أيضاً بيسوعَ

الشكر

إنّ محور إنجيل اليوم ليس الأعجوبة الحاصلة، وإن كانت عظيمة، بل تقديم الإنسان الشكر لله. لا نستطيع تعداد العظائم التي يفعلها الله مع البشر، وقد كُتِبَ جزء منها في الكتاب المقدّس «لتؤمنوا أنّ يسوع هو المسيح ابن الله، ولكي تكون لكم إذا آمنتم حياة باسمه» (يو ٢٠: ٣١)، لكنّ الجزء الأكبر من معجزات الله يراه المؤمن كلّ يوم في حياته. يفتح المؤمن عينَيه يوميًّا ليرى أعمال الله ويمجّده: «ما أعظم أعمالك يا ربّ كلّها بحكمة صنعتَ، ملآنة الأرض من غناك» (مز ١٠٤: ٢٤)، أمّا الأشرار فيقول عنهم الكتاب: «إنّهم لم ينتبهوا إلى أعمال الربّ ولا إلى أعمال يديه» (مز ٢٨: ٥).

عندما دخل الربّ يسوع إحدى القرى، استقبله عشرة رجال برص ووقفوا بعيدًا. مشكلة الإنسان المصاب بالبَرَص أنّه كان يُفرز عن باقي المجتمع، كون البَرَص من الأمراض المعدية، وكان يُعتبر عقابًا إلهيًّا، وأمرًا نجسًا. كان يُفرض على الأبرص أن يسير بعيدًا عن الناس وأن يردّد في سيره كلمة «نجس» لئلّا يقترب منه أحد أو يلمسه. سمع أولئك الرجال عن المسيح، وآمنوا بقدرته على صنع العجائب، وبما أنّهم كانوا يريدون أن يتخلّصوا من وضعهم المزري ومن الفرز الإجتماعيّ، صرخوا إليه من بعيد: «يا يسوع المعلّم ارحمنا». للوهلة الأولى، نتوقّع أن يقول لهم الربّ يسوع كلمةً تشفيهم، لكنّه طلب منهم أن يتوجّهوا إلى الكهنة، لأنّ الناموس كان يفرض على من شُفي من البَرَص أن يعرض نفسه على الكاهن ليفحصه ويتأكّد من شفائه ثمّ يقدّم ذبيحةً كتعبير عن التطهّر من الخطيئة قبل أن يعاد إدخاله إلى الجماعة. طلب الربّ من الرجال أن يتوجّهوا إلى الكهنة ليؤكّد للناس أنّه خاضعٌ للناموس (راجع مت ٨: ٤). إنّ طاعة الرجال العشرة للمسيح هي نتيجة إيمانهم به. لقد انطلقوا قبل أن يشفوا، ولو وصلوا إلى الكهنة من دون أن يكونوا قد شُفوا بعد لكان الأمر محرجًا، إلّا أنّ طاعتهم كانت دليلًا على إيمانهم بقدرة المسيح.

فيما كان الرجال البرص متوجهين إلى الكهنة، نالوا الشفاء، لكنّ واحدًا فقط رجع يمجّد الله. يساعدنا الإيمان بالله على الشفاء، لكنّه المنطلق لا الغاية. هدف وجودنا هو الإتّحاد

العدد ٢٠١٩/٣

الأحد ٢٠ كانون الثاني

تذكار البار إفثيميوس

المتوشّح بالله

اللحن الأول

إنجيل السَحَر الأول

بـالـلـه. كـثيرون يـؤمـنـون بـالـلـه، وأحيانًا قد يقدّم الإنسان الطاعة لله ويخضع للشريعة لأنّه يريد أن يكون مقبولاً في المجتمع، كحال البرص مـع مجتمعـهـم. لـقد فضّل الـرجـال التسعة العودة إلى الحياة الطبيعيّة الـتـي فـقدوهـا مـنـذ مـرضـهـم، إلاّ أنّ واحدًا مـن الـعشـرة وجد المعـنـى الحقيقيّ للحياة، إذ لا معنى لحياتنا الإجتماعيّة أو لصحّتنا أو لغِنَانا إن كنّا بعيدين عن الله. الإنسان، وإن حـاول أن يكـون قـريبًـا من الناس، سيبقى وحيدًا إن لم يعش بالقرب من الله. في المقابل، من يحيا مع الله لا يكون وحده حتّى ولو تركه كلّ الناس.

رفـع البرص أصواتهم مطالبين المسـيـح بـالشفـاء، أمّـا الـذي رجـع ليشكـر المسيـح فـكـان «يمجّد الـلـه بصوت عظيم»، أي إنّ صوته العالي حينَ مـرضـه صـار صـوتًـا عـظـيـمًـا بسبب فـرحـه بـالمسيح الذي منحه الشفاء. ولم نعد نسمع صوت الرجال التسعة الباقين. هذا ما تعلّمنا إيّاه كـنـيستنا المقدّسة بتسميتها القدّاس الإلـهـيّ «سرّ الشكر». نحن مدعوّون لأن نشـكـر الـلـه كلّ حين، ونمجّد أعماله بصوت عـظـيـم. مـن هـنـا، فـلـنـتـذكّر أنّ المشـاركـة في القدّاس الإلهيّ ليست مجرّد واجب اجتماعيّ أو فرض كنسيّ، بل هـي فرح كبير بـأعمال الله العظيمة وتمجيد له. أمّا من لم يعِ أهمّيّة التعبير عن شكرنا لله فهو ذو فرحٍ ناقص. نتدرّب، من خلال المشاركة في القدّاس الإلهيّ، عـلـى الـتـأمّـل في أعـمـال الله وعلى الـعـيـش في شـكـر مستـمرّ، فـنـغدو عائشين في فرحٍ لا يُنتَزَع منّا إلاّ إذا ابتعدنا عن الله.

لـقد خرّ الأبـرص الشكـور على وجهه عند قدمي الربّ شاكرًا إيّاه. سجودنا لله ليس دائمًا تعبيرًا عن التوبة أو الإعتراف بالخطأ. السجود الأهمّ الذي يحتوي على فرح عظيم هو الذي نقوم به اعترافًا بفضل الله علـيـنـا. سجـودٌ كـهـذا يملأنـا نـعمةً مضـاعـفـة، ويـجـعلنا نريد أن نبقى عـنـد قدمـي يسوع مـثـل مـريم أخت مرتـا ولعازر التي اختارت النصيب الصالح الذي لا يُنزع منها. النِّعَم التي ننالها في هذه الحياة ليست فيها حياةٌ بذاتها، وإن كانت عطيّة من الـلـه مـثـلـمـا كـان شفاء الرجال البرص عطيّة من الله لكنّه لم يكن كـافـيًـا لخلاصـهـم. الحياة الحقيقيّة هي عند الله وحده: «لأنّ عندك هو يـنـبـوع الحيـاة» (مز ٣٦: ٩)، ومَن يجد نـبـع الحيـاة يـفـرح كـثيًرا لأنّـه وجد مصدر كـلّ الـعـطـايـا، فـيـزول تعلّقه بـالأمور الزائلة، مثل الإنسان الـذي سـمـع مـن الـلـه: «إيمانك قد خلّصك، إمضِ بسلام».

القدّيس غريغوريوس اللاهوتيّ

تعيّد كنيستنا المقدّسة في ٢٥ كانون الثاني للقدّيس غريغوريوس اللاهوتي رئيس أساقفة القسطنطينيّة.

وُلد القدّيس غريغوريوس سنة ٣٣٠ م. في أريـانـزو بـالـقـرب من نزيـنـزا شـمـال–غـرب كبادوكيا. كان والده أسقف نزينزا، لكنّ ميله كان هرطوقيًّا بسبب الجهل اللاهوتيّ. والدته، القدّيسة نونا، كانت العنصر الأهمّ في العائلة، إذ كانت «معلّمة الـتّـقـوى» لـرجلها وأولادها. التربية الـتـي تـلـقّـاهـا مـن والديه، والثقافة التي تعلّمها، نمَّت لدى غريغوريوس حسًّـا مـرهـفًـا، وتصـمـيـمًـا وإرادةً قاطعة.

كان والد القديس غريغوريوس غير مسيـحـيّ وكـان حـاكـم المدينة الأوّل. إهتدى إلى المسيحيّة بتأثير من زوجته، فاعتمد ويبدو أنّه اتّخذ اسم غريغوريـوس في المعـمـوديّـة، وصار أسقفًا فيما بعد على نزينزا. كانت عائلة غريغوريوس تنتمي إلى العائلات الكبيرة والغنيّة التي كانت فـنـنـتـصب معكم* لأنَّ كلَّ شـيءٍ هـو مـن أجلِكم لكي تـتـكـاثـر الـنـعـمـةُ بشكـرِ الأكثرين فتزدادَ لمجد الله.

الإنجيل

(لوقا ١٧: ١٢–١٩)

في ذلك الزمان فيما يـسـوعُ داخـلٌ إلى قـريـةٍ اسـتـقـبـلـهُ عَـشْـرَةُ رجالٍ بُـرص ووقـفـوا مـن بـعيدٍ* ورفـعـوا أصواتَـهم قائلين يـا يسوعُ المعلّـمُ ارحـمنا. فلمَّا رآهم قال لهم امْضوا وأروا الـكـهـنـةَ أنـفسكم. وفـيـمـا هـم مـنـطـلِقـون طَـهُـروا* وإنَّ واحداً مـنـهـم لمَّا رأى أنَّه قد برئَ رجَعَ يُمجِّدُ اللهَ بصوتٍ عظيم* وخـرَّ عـلـى وجـهـه عـنـد قَـدَمَـيْـهِ شـاكـراً لـه وكـان سـامـريًّـا* فـأجـابَ يسوعُ وقـال ألـيسَ الـعَـشْـرَةُ قد طـهـروا فـأيـن التسعة* ألم يوجَدْ مَن يرجع ليمجّد الله إلاّ هذا الأجنبيَّ* وقـال لـه قُـــمْ وامضِ. إيمانُـــك قد خلَّصك.

تـأمل

يؤكّد الرسول بولس على أن كلّ شيء هو من عـمـل قدرة الـلــه، مـبـعداً أفـكـار أولـئك الـذيـن يـفـتـخـرون بـأنـفسهم. ويقول: لنا هذا الكنز في آنيةٍ خزفيّة وإضافة لذلك عـلـى الـرغـم مـن الشرور

التي نعانيها والضربات التي نتلقاها، نحافظ على هذا الكنز ولا نخسره. حتى ولو كانت الآنية من ألماس لا يمكن أن تحمل مثل هذا الكنز الكبير ولا أن تحتمل مثل هذه الهجمات العديدة. لكن الآن تحملها ولا يضرّها شيء بسبب نعمة الله.

يقول «في كلّ شيء» أي من الأعداء ومن الأصدقاء، من ضرورات الحياة وحاجيّاتها، من المقاومين ومن الأقارب. «لكن غير مخذولين»، لاحظ كيف يذكر أشياء متناقضة ليُظهر قوّة الله.

«متضايقين لكن غير منحصرين، متحيّرين لكن غير يائسين». أي في النهاية لا نفقد شجاعتنا وما عندنا من أشياء. يسمح الله بهذه الشدائد من أجل الجهاد لا من أجل الفشل.

«مضطَهدين لكن غير مخذولين. مطروحين لكن غير هالكين». تأتي التجارب علينا من دون أن تدركنا نتائجها. وهذا أيضاً بسبب قدرة الله ونعمته. يسمح الله بها من أجل التواضع ومن أجل صيانة الآخرين. «لئلّا يظنّ أحد من جهتي فوق ما يراني أو يسمع مني» (٢ كو ١٢: ٦). وفي مكان آخر: «لكي لا نكون متّكلين على أنفسنا» (٢ كو ١: ٩) بل تملك أملاكًا شاسعة. أنجب الزوجان، إضافةً إلى غريغوريوس، إبنةً سمّياها غورغونيا، وابنًا سمّياه قيصاريوس، وكلاهما من القدّيسين.

تلقّى قدّيسُنا علومه الأولى في نزينزا، ثمّ انتقل إلى قيصريّة كبادوكيا للتدريس. زار الإسكندريّة برفقة أخيه حيث تعرّف إلى القدّيسَين أثناسيوس وأنطونيوس، ولعلّه سمع محاضرات ذيذيموس الأعمى. ترك أخاه في الإسكندريّة وانطلق إلى أثينا. ثارت عاصفة بحريّة في طريقه مهدّدةً حياة الركّاب، فقرّر غريغوريوس أن يكرّس نفسه لله إذا نجا من هذا الخطر.

في أثينا، إلتقى بصديقه القدّيس باسيليوس الكبير، فانصرفا إلى الحياة الروحيّة والعلميّة، ولم يعرفا إلاّ طريقَين: واحدة تقود إلى الكنيسة وواحدة إلى الجامعة، وهناك ألّفا الرابطة الطلّابيّة المسيحيّة الأولى في العالم. وصف القدّيس غريغوريوس علاقته بالقدّيس باسيليوس قائلًا: «كلّ الأشياء كانت عندنا مشتركة، ونفس واحدة تجمعنا معًا، لا يفصلها إلاّ انفصال جسدينا». كانا يحاولان عيش دعوتهما المسيحيّة قبل أيّ أمر آخر.

تابع دراسة الخطابة والأدب في أثينا، وبسبب تفوّقه فيهما اختير ليكون أستاذًا قبل أن يعود إلى نزينزا ليكون هناك أيضًا أستاذًا للخطابة. لكنّ ضجّة الحياة في هذه المدينة لم تناسب شخصيّته المُحبَّة للهدوء والسكينة، فتنازعت في داخله أمور عديدة، إلاّ أنّ الميل الأكبر كان للتوحّد أكثر من الخدمة في المجتمع وفي كنيسة العالم. فضّل القديس غريغوريوس العيش بعيدًا عن العالم، فانتقل للعيش مع القدّيس باسيليوس حيث درسا الفلسفة واللّاهوت على أساس كتابات العلّامة أوريجنّس. عند عودته، وجد أن أباه الأسقف غريغوريوس، بسبب شيخوخته، وقّع دستور إيمان نصف آريوسيّ عن جهل، فبيّنَ لوالده الحقيقة وأقنعه بالعودة عن هذا التوقيع وتبنّي دستور آخر أرثوذكسيّ.

أراد الأسقف غريغوريوس لابنه أن يكون كاهنًا لله العليّ ويخدم كنيسته، خصوصًا بعد أن أعاده عن ضلال أكيد، فسامَه في أواخر سنة ٣٦١ بالرغم من معارضته الشديدة. بقي القديس غريغوريوس هناك عشر سنوات استطاع فيها أن يُعيد، إلى الإيمان المستقيم، أبناء الرعيّة الذين تركوا الكنيسة بسبب توقيع أبيه على الدستور الآريوسيّ. عندما أبعد الإمبراطور يوليانوس المسيحيّين عن التعليم المسيحيّ وفرضَ التعليم الوثنيّ في المدارس، حينها وضع غريغوريوس عدّة مؤلّفات وكتب الشعر لينشر التعليم المستقيم الرأي.

بعد موت إفسافيوس، إنتُخب باسيليوس أسقفًا على قيصريّة. هنا أيضًا بدأت مرحلة جديدة في حياة غريغوريوس اللاّهوتيّ، عندما رسمه باسيليوس أسقفًا سنة ٣٧٢ ضدّ إرادته أيضًا. كانت هذه المرحلة صعبة في حياة غريغوريوس لأنّ باسيليوس كان يعمل على أساس مخطّط لمقاومة تقسيم كبادوكيا من قِبل الإمبراطور الآريوسيّ، لذلك اختار غريغوريوس أسقفًا على منطقة ساسيما التي تقع تحت دائرة سلطته. عارض غريغوريوس هذا الإنتخاب لأنّه لا يريد الدخول في صراع الكنيسة والإمبراطور، ولأنّه يحبّ الهدوء ولا يمكنه العيش في منطقة صاخبة، ولأنّ المسؤوليّة الإداريّة غريبة عن صفاته.

زار غريغوريوس القسطنطينيّة حيث ألقى كلماته اللاّهوتيّة الخمس «في الثالوث»، التي أثّرت في الشعب لدرجة أنّها ردّت آريوسيّين كثيرين إلى الإيمان القويم. سُمِّيَ «اللاّهوتيّ» بسبب هذه العظات، وسيم فيما بعد بطريركًا على المدينة.

سنة ٣٨١ م. افتُتح المجمع المسكونيّ الثاني برئاسة ملاتيوس أسقف أنطاكيا، الذي توفّي خلال انعقاد المجمع، فعهدت الرئاسة إلى غريغوريوس، لكنّه لم يستطع التوفيق بين الأفرقاء ولقي معارضة شديدة، فاستقال من منصبه كبطريرك القسطنطينيّة تاركًا رئاسة المجمع لخلفه في السدّة البطريركية نكتاريوس. قبل انسحابه من المجمع ألقى خطاب استعفاء دافع فيه عن وجوده في القسطنطينيّة كأسقف عليها.

يُعدّ القدّيس غريغوريوس النزينزيّ اللاّهوتيّ الأوّل بعد الإنجيليّ يوحنّا. تمتّع بحساسية روحيّة عالية ومرهفة جدًّا إلى جانب ميل قويّ نحو الحياة التأمّليّة الرؤيويّة. كان لاهوتيًّا، وشاعرًا ورؤيويًّا وهذا سبب عظمته وسبب الصعوبة أيضًا في فهم فكره اللاّهوتيّ.

مع تساؤلاتكم

ورَدَنا إلى صفحتنا على موقع فيسبوك رسائل من عدّة مؤمنين بشأن صفحاتٍ تتعاطى مع التقاليد الليتورجيّة بقالبٍ هزليّ وساخر، الأمر الذي يبثّ روح الدينونة عند القرّاء والمتابعين، ويجعلهم يدينون هذا الكاهن أو ذاك الأسقف أو الكنيسة المقدّسة ككلّ أو يسخرون من تقاليد كنسيّة يجهلون وجودها أصلاً.

الكهنوت هو أحد أسرار الكنيسة، تنحدر فيه نعمة الروح القدس على إنسان محبٍّ لله ومستعدٍّ لخدمة رعيّة الربّ «حتّى الصليب»، فتنتدبه النعمةُ الإلهيّة إلى الخدمة الشموسيّة أو الكهنوتيّة أو الأسقفيّة. إذًا، مَن يسخر من شمّاس أو كاهن أو أسقف، أو يدينه، إنّما هو يقف في مواجهة النّعمة الإلهيّة التي نالها ذاك الإنسان عن استحقاق، وصُدِّقَ عليها بعبارة «مستحقّ» التي يصيح بها أعضاء جسد المسيح–الكنيسة.

من هنا، مَن يسخر من الكنيسة ككلّ، إنّما يسخر مِن جسد المسيح، مِن عروس المسيح، التي اقتناها لنفسه «شعبًا خاصًّا، كهنوتًا ملوكيًّا، أمّةً مقدّسةً» على حسب قول القدّيس باسيليوس الكبير في أفاشين قدّاسه الإلهيّ. فإذا كان المسيح قدّم ذاته ذبيحةً على الصليب من أجل كنيسته/شعبه، فمَن نحن، كائنًا مَن نكون، لكي نسخر منها أو نحطّ من قدرها. ما هذا إلاّ شيطان الكبرياء ينطق من خلال منتقدي الكنيسة والساخرين منها، فيجعلهم يعتبرون أنفسهم أرفع شأنًا من «جسد المسيح» فيهينوه، ويقعون في الخطيئة نفسها التي أسقطت آدم وحوّاء وأخرجتهما من فردوس النّعيم القديم.

أمّا من ناحية الكنائس الأفريقيّة التي تستخدم نوعًا خاصًّا من الموسيقى في الخِدَم الليتورجيّة، فعلينا أن نفهم أنّ الكنيسة لا تستطيع أن تكون منزلَة من خارج بيئة المجتمع الذي تخدم، وإلاّ فإنّ بشارتها تكون غير مقبولة. لا ننسَ أنّ بولس الرسول، عندما أراد تبشير الوثنيّين، انطلق من «الإله المجهول» الذي كانوا يعبدونه ليُخبرهم عن الله. إذًا، تنطلق الكنيسة المقدّسة من بيئة المجتمع الذي تعيش فيه لتصعد بأبنائه إلى الملكوت، وهذا العمل المبارك قام به كلّ آباء الكنيسة القدّيسون مثل القدّيسَين يوحنّا الذهبيّ الفم وأفرام السريانيّ وغيرهما.

في النهاية، لا تكن مواقع التواصل الإجتماعيّ منابر نعرض عليها الأحقاد والضغائن والإدانات والسخرية، بل فلتكن منابر تنشر المحبّة المسيحيّة الحقيقيّة ومبادئ الإحترام وقبول الآخر باختلافاته، وهكذا نكون على طريق الملكوت.

على قوّة الله. أرأيت الربح الناجم عن التجارب؟ يبيّن قوّة الله ونعمته إلى درجة كبيرة. لأنه يقول «تكفيك نعمتي» (٢ كو ١٢: ٩). درّب البعض على التواضع وآخرين على ضبط النفس وغيرهم على الصبر لأنه يقول أيضاً: «والصبر يولّد اختباراً والاختبار رجاءً» (رو ٥: ٤). لأن الذين وقعوا في أخطار عديدة وأخذوا قوّتهم من الرجاء بالله، يتعلّمون الاستناد إلى قوّة الله أكثر.

«حاملين في الجسد كلّ حين إماتة الرب يسوع لكي تظهر حياة يسوع أيضاً في جسدنا» (٢ كو ٤: ١٠).

ماذا يعني بـ«حاملين إماتة الربّ يسوع»؟ المائتون اليوم يظهرون بعد قليل قائمين. الإنسان الذي لا يؤمن بموت المسيح وقيامته، عندما يرانا نتألّم كلّ يوم ونقوم سوف يأتي إلى الإيمان بالقيامة. أرأيت كيف أوجد سبباً آخر للتجارب؟ «لكي تظهر حياة يسوع في جسدنا» بنجاتنا من الأخطار. ما يبدو نتيجة للضعف والتخلّي يكرز بقيامته. تظهر قوّة الله بقدر ما نتألّم ولكن لا نُغلب.

القديس يوحنا الذهبي الفم